مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2021، 21(1): 151–162
DOI: 10.31456/beytulmakdis.854276

مقاهي القدس ودورها الوطني منذ نهاية العهد العثماني حتى الاحتلال الإسرائيلي

إبراهيم الزعيم*

ملخص: افتتحت المقاهي في مدينة بيت المقدس، في القرن السادس عشر الميلادي، بعد أن انتشرت عادة شرب القهوة في المدينة، وكانت المقاهي في ذلك الوقت، تؤدي دورا إنسانيا؛ إذ يلتقي فيها الناس، ويتعرفون على أخبار بعضهم، كونها أداة اجتماعية بالمقام الأول، ثم أدت دورا وطنيا، تمثل في نشر الثقافة، والعمل السياسي، وهي بذلك تتماشى مع الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية، التي عاشتها فلسطين في تلك المرحلة. تهدف هذه الدراسة إلى: التعريف بتاريخ القهوة في مدينة القدس، وأبرز مقاهي المدينة، والوقوف على دورها الثقافي والسياسي، في نهاية العهد العثماني، وسياسة الاحتلال الإسرائيلي تجاهها، بعد اكتمال احتلال القدس عام 1967. واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وجاءت الدراسة في ثلاثة مطالب، هي: القهوة والمقاهي في القدس، والدور الوطني لمقاهي القدس، وتراجع دور مقاهي القدس. وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج، منها: أن المقاهي أدت دورا تثقيفيا للمجتمع المقدسي، تمثل في تقديم المعرفة، في قالب التسلية، وعقد الحلقات الأدبية، ومطالعة الصحف، وقراءة الكتب، وأنها اضطلعت بدور سياسي؛ إذ أسهمت في تنمية الوعي السياسي، وشاركت في مقاومة الاحتلال البريطاني والإسرائيلي، ولذلك تعرضت لملاحقة قوات الاحتلال الإسرائيلي.

الكلمات المفتاحية: مقاهي، بيت المقدس، القدس، العهد العثماني، الاحتلال البريطاني، الاحتلال الصهيوني.

Al-Quds Cafés and their National Role from the end of the Ottoman Era until the Israeli Occupation

ABSTRACT: *Cafés were opened in Bayt al-Maqdis in the 16th century after the habit of drinking coffee had spread among the people in the city. At the time, cafes played a role as a sociocultural institution. People would go to such places and learn about each other's news. They also played a national role by helping to spread culture and political work in-line with the national, cultural and political conditions of that time period. This study aims to introduce the history of coffee in Al-Quds, its most prominent cafés, and their cultural and political role at the end of the Ottoman Era, as well as the Israeli occupation policies towards them, particularly after the occupation of Jerusalem was completed in 1967. This article adopts a descriptive analysis approach to examine three main topics: coffee and cafés in Jerusalem, their national role, and the decline of the role of cafés al-Quds. The main findings of the study include that cafes played an educational role in the lives of Jerusalemites. They helped in spreading knowledge through entertainment, the*

* دكتوراة في الحضارة الإسلامية، مدير مركز المبادرة الاستراتيجية فلسطين ماليزيا، alzaeemibrahim@gmail.com

holding of literary seminars, and the reading of newspapers and books. They also played a political role in raising political awareness and in resisting the British and Zionist occupations. Thus Zionist have targeted these cafés.

KEYWORDS: *Coffeehouses, Bayt al-Maqdis, Jerusalem, Ottoman, British Occupation, Zionist Occupation.*

مقدّمة

عرف العرب شرب القهوة في اليمن، في القرن التاسع الهجري، ثم انتقلت عادة شربها إلى البلدان العربية، وفي النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، افتتحت المقاهي في الحجاز وبلاد الشام وتركيا ومصر، فسبقوا بذلك أوروبا، التي عرفت المقاهي بعد نحو مائة عام. وفي مدينة القدس، كغيرها من البلدان، دارت نقاشات حول حرمة القهوة أو حلها، حتى وصل الأمر أحيانا إلى منعها، لكن وبمرور الوقت، غدت جزء من الثقافة الشعبية، بحضورها على موائد المناسبات الاجتماعية، واللقاءات الفكرية والسياسية. ونتيجة لوجود عدد من الأدباء والمفكرين في بيت المقدس؛ والأحداث السياسية التي شهدتها المدينة، تحولت عادة شرب القهوة في المقاهي، من نشاط اجتماعي، يفعله الناس للتسلية واللقاء بالأصدقاء، إلى عمل نافع؛ بأن قدمت المقاهي لجمهورها، أو على الأقل بعضا منهم، معارف فكرية، وتوعية سياسية.

1. القهوة والمقاهي في القدس

المقهى: مفرد وجمعها مقاهٍ، وهو مكان عام تقدم فيه القهوة، ونحوها من المشروبات الساخنة والباردة.[1]

دخول القهوة إلى فلسطين

انتشر شرب القهوة في القدس، أواسط القرن العاشر الهجري، السادس عشر للميلاد، بعد أن وصلها من الشام والحجاز ومصر، وتم ذلك على أيدي العائلات، التي استقرت في القدس؛ بعد الإصلاحات التي أجراها السلطان سليمان القانوني في المدينة، وحسب سجلات المحكمة الشرعية، فإن أول صانعي القهوة في القدس، هو أحمد بن أحمد القهوجي.[2] كانت فلسطين تستورد البن، من البلاد العربية وأمريكا الجنوبية؛[3] ولذلك ارتفعت أسعاره، ففي عام 1858، بلغ سعر الرطل (24) قرشا، ووافق بذلك ثمن رطل السمك.[4]

وقد شهدت البلاد الإسلامية في فترة انتشار القهوة، جدلا واسعا، فاتخذ الحكام مواقف متناقضة منها، حتى أن بعضهم حرمها؛ والسبب في تقديرهم، هو الضرر الذي تلحقه بالجسم؛ أو لأن المقاهي تشهد أعمالا غير أخلاقية، ثم تلاشت تلك النقاشات، ودمجت القهوة والمقاهي في المجتمع.[5] إن الفكرة السائدة عند البعض، بأن المقاهي شر محض ليست صحيحة، فقد ذكرت صحيفة اللواء،[6] أن الشيخ محمد البسطامي (واعظ قضاء نابلس)، زار ليلة السبت من كل أسبوع، أحد مقاهي نابلس؛ لإلقاء درس

ديني، بعد أن كلفته دائرة المعاهد الدينية، مع غيره من المشايخ، بإلقاء المواعظ الدينية في النوادي والأماكن العامة، وألا يقصروها على المساجد، ووجدت تلك الدروس ترحابا من الجمهور.[7] ومن بين المواقف الوطنية لأصحاب المقاهي، ما جاء في صحيفة فلسطين،[8] من أن سعيد حنا عمران، صاحب قهوة الشرق الكبرى (المعروفة باسم الانشراح) في يافا، تبرع بربع مل، عن كل فنجان قهوة أو شاي، لصالح صندوق الأمة في المدينة.[9]

افتتاح المقاهي في القدس

من أقدم مقاهي القدس: "بيت القهوة" الذي تأسس في حمام علاء الدين البصير، سنة 1578، ومقهى حسين باشا محافظ غزة، وباعته ابنته سنة 1651. وفي آواخر العهد العثماني تأسست أربع مقاه قرب باب العامود، وهي: عارف زعترة، وعلي ازحيمان، وخليل نجم، وصيام.[10] ولا عجب والحال كذلك، أن تسبق القدس كثيرا من العواصم العربية، في الأدب والفكر والسياسة؛ لأن تلك المقاهي أدت دورا رياديا في نشر الوعي والمعرفة. وخلال فترة الاحتلال البريطاني، شهدت مدينة القدس انتشار المقاهي داخل أسوار البلدة القديمة وخارجها، منها مقهى النابلسي، ومقهى جوهرية في حارة الروس، كما يقول الباحث في تاريخ القدس روبين أبو شمسية.[11] ووصف الرحالة الألماني "سيتزن"، هذه المقاهي، أثناء زيارته للمدينة عام 1806، بأنها تقع في الأحياء وزوايا الشوارع، وتقدم القهوة والشاي والنرجيلة، حيث يجلس الناس على الأرض والحجارة.

وبلغت مقاهي القدس في الفترة ما بين 1831-1918 خمس عشرة مقهى.[12] وحسب إحصاء أجري سنة 1877، كان في القدس 31 مقهى، اثنان منها فقط لليهود، والبقية للفلسطينيين، تعود ملكية (23) منها للمسلمين، و6 للمسيحيين.[13] وفي عام 1947، حدث تحول على أعداد المطاحن والمقاهي، فبلغ عدد المطاحن 20 مطحنة، 11 لليهود، و6 للمسلمين، و3 للمسيحيين، ووصل عدد المقاهي والمطاعم في العام ذاته إلى 226، 99 لليهود، 79 للمسلمين، 48 للمسيحيين.[14] ومع أن الإحصائية الأخيرة، جمعت المطاعم مع المقاهي، لكنها وتعداد المطاحن في ذلك العام، يشيران إلى زيادة المقاهي اليهودية، مقابل تراجع عدد المقاهي الفلسطينية، وبطبيعة الحال كان لذلك أثر على دور المقاهي.

وصف المقاهي وزوارها

بحلول القرن العشرين، كان عدد المقاهي قليلا، معظمها في البلدة القديمة، وهي محصورة على الرجال،[15] يلتقون فيها في الغالب، بعد العصر إلى المساء، أما ساعات الصباح، فيلتقي فيها المتقاعدون، كما كانت ملتقى القرويّين القادمين إلى المدينة؛ للصلاة في المسجد الأقصى المبارك؛ أو للبيع والشراء، إضافة إلى أنها استقبلت بعض الشباب العاطلين عن العمل، والموظفين الخارجين من دوامهم اليومي. والمحظوظ من

زبائن المقهى، هو من يحظى بجلسة في الفسحات المكشوفة المتاخمة للأسواق، حيث يطيب له النظر إلى حركة الناس في السوق.[16] إن تنوع رواد المقاهي منحها ميزة عن غيرها من ميادين الثقافة، مثل: الصحيفة، والكتاب، والمسرح، والنادي الثقافي، فهي ليست مقصورة على فئة دون أخرى، إنما يقصدها كل شرائح المجتمع، وهذا أسهم في النهوض بثقافة الناس من جهة، وملامسة المثقف لهمومهم واحتياجاتهم وتطلعاتهم، من جهة أخرى، فكانت معبرا حقيقيا عن نبض الشارع. وفي شهر رمضان المبارك، كانت المقاهي تفتح أبوابها بعد صلاة التراويح، وتقام فيها عديد النشاطات الاجتماعية، والدينية، والثقافية.[17]

أما أثاثها فمن كراسي القش المربعة، المرتفعة عن الأرض (40-50سم)، وبدون مساند، والطاولات بجانبها، ودلة القهوة وابريق الشاي في مدخل المقهى،[18] وتتميز بأجهزة المذياع التي تبثّ الأغاني دون انقطاع، وبالنادلين ذوي الأصوات المنغّمة، التي كانت تعطي للمقاهي نكهة خاصة.[19] كانت المقاهي تقدم المشروبات الساخنة والمثلجة للزبائن،[20] وبعضها يقدم البوظة العربية،[21] إلا أن بعض تلك المقاهي، حاد عن وظيفته، سيما بعد الاحتلال البريطاني للمدينة، ومحاولة منافسة المقاهي اليهودية،[22] إذ قدمت فيها المشروبات الكحولية، وأقيمت فيها الحفلات لمغنيين ومغنيات.[23] وبالنظر إلى تاريخ تقديم المشروبات الكحولية، وإقامة الحفلات الغنائية للمغنيات،[24] نجد أنها بالفعل في سنة الاحتلال البريطاني للمدينة، أو بعد ذلك التاريخ، ولن نلقي باللائمة كلها على بريطانيا، وانتشار المقاهي اليهودية، لكن لا يمكن اغفال ذلك التأثير، ومع أن عددا من المقاهي فعل ذلك، لكن لا يمكن الجزم بأن ذلك هو سلوكها جميعا.

أشهر مقاهي القدس

من أبرز المقاهي الحديثة، التي سبقت الاحتلال الإسرائيلي للمدينة، ما يلي:

مقهى صيام: بناه أبو أحمد صيام عام 1885، على مفترق طرق، يؤدي إلى المسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة،[25] وفي عام 1967 كان يوجد في البلدة القديمة أربع مقاهي، تحولت ثلاثة منها إلى مرافق تجارية أخرى، وبقي هذا المقهى على حاله، حتى هذا التاريخ.[26]

مقهى المنشية: وهو تابع للبلدية ويقع بمحاذاة عين جريشة. وكان يطرح للتأجير، على أساس التضمين مرتين كل عام. وأشرف على إدارته جريس جوهرية، اعتبارا من سنة 1915، حتى عام 1918، وهي سنة وفاته.[27]

مقهى المختار: يقع بمحاذاة باب الخليل، على مقربة من السور الجنوبي للبلدة القديمة، أسسه عيسى الطبة، مختار طائفة الروم الأرثوذكس، عام 1918،[28] وكان مقصدا للأدباء والشعراء والصحفيين ورجال الحكومة وزعماء البلد، وأطلق عليه خليل السكاكيني،[29] اسم مقهى "الصعاليك"، وأعطى مجموعته لقب "الصعاليك".[30]

مقهى جوهرية: افتتحه خليل جوهرية سنة 1918، وكان على مقربة من المسكوبية، في شارع يافا.[31]

مقهى السرايا: في سوق العطارين، وتحيط به شجرة توت، كان يحتمي بظلالها المراجعون، ريثما يتم إنجاز معاملاتهم، في الدوائر الحكومية.[32]

مقهى الباسطي: يقع في الزاوية التي تربط بين طريق المجاهدين أو طريق الالام، مع طريق الواد،[33] وقد افتتح عام 1927، وكان يجتمع فيه أهل البلدة القديمة وضواحي القدس.[34]

مقهى زعترة: تأسس عام 1938، وامتد تاريخه حتى عام 1979، وهي من أكبر مقاهي البلدة القديمة بالقدس، ورواده أطباء، وضباط متقاعدون، ومدراء مدارس، ومعلمون، وشخصيات مجتمعية، وغيرهم، وبعض هؤلاء أدام الحضور يوميا إلى القهوة، على مدار (25 عاما)، حتى ارتبط بمتعلقاته الخاصة، فلا يغيرها مطلقا، وهي: مقعده وأرجيلته وفنجانه.[35]

2. الدور الوطني لمقاهي القدس

كان لصحافة ومثقفي القدس، والأحداث السياسية المتلاحقة، التي شهدتها المدينة المقدسة، سيما في القرن العشرين، دور مهم في تعزيز النهضة الثقافية، ونشر الوعي السياسي، وقد كانت المقاهي ملتقى المثقفين والسياسيين، كما حضرت فيها الصحف، فكانت رافدا من روافد العمل الوطني، وهنا أتحدث عن الدور الثقافي، والدور السياسي.

أولا: الدور الثقافي

أدت مقاهي فلسطين وظيفة اجتماعية؛[36] إذ كانت ملتقى الناس، على اختلاف بيئاتهم وأعمالهم ومعارفهم الثقافية[37]، وذلك جعلهم أسرة واحدة، يتعرفون على أحوال بعضهم، ويتناقشون في مواضيع اجتماعية وسياسية.[38] وبما أن بعض مقاهي القدس، أسسها أعيان المدينة، وارتادها الوجهاء، فإنها أدت دور النوادي الثقافية،[39] فنجح مقهى الصعاليك في جذب العشرات من مثقفي القدس من مشاهير الأدب والسياسة،[40] أمثال أحمد الشقيري، مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية،[41] وفي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، واظب المقهى على ندوة أدبية أسبوعية، عرفت بـــــ"حلقة الأربعاء" وممن كانوا يحضرون هذه الحلقة، إضافة إلى خليل السكاكيني، عادل جبر،[42] وإسعاف النشاشيبي،[43] وعيسى العيسى (محرر صحيفة ألف باء)، وداود العيسى (صاحب صحيفة فلسطين)، وإسحاق موسى الحسيني،[44] ونخلة زريق.[45] ومن خارج فلسطين أحمد زكي، وخليل مطران،[46] كما شهدت لقاءات لأعيان البلد؛ للتباحث في عديد القضايا، وفق روين أبو شمسية.[47]

ويتضح هنا هو المنهجية التي اتبعها المثقفون وأصحاب المقاهي، وهي عقد اللقاءات الثقافية أسبوعيا، وبذلك فإن المقاهي تنافس الجمعيات الثقافية، في وظيفة الارتقاء بمعارف الجمهور، سيما ونحن نتحدث عن حضورها، من خلاصة مفكري القدس، إضافة إلى أمثالهم من خارج فلسطين. كما أنه من المهم

الإشارة إلى روح التسامح، التي عاشتها المدينة، فالمقاهي تقدم نموذجا إضافيا، على تعايش المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، فقد جمعت اللقاءات، عادل جبر واسعاف النشاشيبي وإسحاق الحسيني وغيرهم (مسلمون)، إلى جانب خليل السكاكيني ونخلة زريق (مسيحيان).

وفي دراسة حديثة للمؤرخ عامي أيالون، عن انتشار القراءة والكتابة في فلسطين، يظهر دور المقاهي وعلاقتها بالقراءة؛ إذ يشير الكاتب إلى أن القهوة والشاي، كانا محفزين على المطالعة والمناقشة، كما أن أصحاب المقاهي شجعوا الناس على الحضور إلى المقاهي، من خلال زيادة عدد الصحف والمجلات المتوفرة لرواد المقهى.[48] وتناقش تلك اللقاءات في المقاهي، فنون الأدب العربي، فقد كان نخلة زريق، صديقا حميما لآل الحسيني، فكان حسين الحسيني يزوره مع كامل الحسيني (مفتي القدس آنذاك)، ويبحثوا معا في اللغة والشعر، ثم يغني لهم واصف جوهرية بعض الموشحات،[49] ويستمعون فيها للأغاني العربية، كما كان يفعل واصف جوهرية مع فخري عاصم، وتحسين الخالدي، وداود الفتياني، وعبد القادر العلمي، ومصطفى السرية في مقهى الجوهرية.[50]

كما أن المقاهي قدمت فقرات التسلية، المرتبط بالثقافة الشعبية، ففي نهاية العشرينيات من القرن الماضي، كما تقول هالة السكاكيني في مذكراتها، كانت المقاهي تستضيف مسرح العرائس "كركوز"، الذي كان يقام في مقهى واسع داخل باب العامود. ففي شهر رمضان، من كل عام، يأتي رجل لبناني، من طرابلس، فيؤدي عرضا شيقا، وقد حضره عدة مرات، خليل السكاكيني برفقة صديقه الشاعر العراقي معروف الرصافي.[51] كان الرجل الذي يؤدي دورين ببراعة، ينوع العرض حسب الجمهور، فإذا لحظ وجود شخصيات مثقفة، استعان بإشارات على موضوعات أدبية، ولمح إلى مشكلات اجتماعية وسياسية.[52] وذلك الحكواتي الطرابلسي، هو محمود الحكواتي، وهو أشهر من قدم هذه العروض في القدس، حتى أواسط الاحتلال البريطاني؛ إذ كان يقضي شهر رمضان في القدس، ويقسم كل ليلة إلى فصول، فيبدأ بالتمثيل بعد الإفطار بساعة في مقهى خليل نجم للأطفال، ثم في مقهى محلة باب حطة للأطفال أيضا، ثم في مقهى الهوسبيس في محلة الوادي، ثم في أحد مقاهي محلة خان الزيت أو محلة النصارى، ثم في مقهى علي ازحيمان، الذي كان يخصصه للشعر والأدب، ثم في مقهى النابلسي خارج باب العامود، حتى وقت السحور.[53]

إن تنوع الدور الثقافي للمقاهي، يجعل من تراجعه خسارة كبيرة للثقافة الوطنية، فمع وجود مقاه ثقافية في فلسطين في العصر الحديث، إلا أن دورها مقصور على قراءة الكتب، ولذلك من المهم العمل على إعادة الدور الثقافي للمقهى المقدسي، وهذه مهمة المثقفين والمؤسسات الثقافية بالدرجة الأولى، في ظل تقصير المؤسسة الرسمية الفلسطينية.

ثانيا: الدور السياسي

إن ما شجع أهل السياسة والفكر على ارتياد المقاهي، وجعلها مقرا لهم، هو بعدها عن العيون، مقارنة بغيرها من الأماكن، فجعلوا يترددون عليها دون مواعيد مسبقة، واتخذوها محطات استراحة.[54] وخلال العرب العالمية الأولى، شاعت عادة قراءة الصحف في المقاهي، وزاد ذلك كلما اشتدت المعارك، وكانت مصدرا رئيسا للمعرفة بتفاصيل الحرب. وكان من الطبيعي، لأحد القراء أن يقرأ التعليق السياسي، وغيره من الأخبار الواردة في الصحف في المقهى.[55] وفي الثورة الفلسطينية عام 1936، شاركت المقاهي في المقاومة، فتحت عنوان "اضراب المقاهي"، كتبت صحيفة الدفاع،[56] في عددها الصادر بتاريخ 2 أيار (مايو) 1936، أن المقاهي شاركت في الاضراب، وقرر أصحابها تشكيل لجنة من أصحاب المقاهي؛ لتنظيم حركة الإضراب،[57] وامتثل الناس لذلك، فامتنعوا عن الذهاب إلى المقاهي.[58]

لقد غاب هذا الدور تماما في مقاومة الشعب الفلسطيني المعاصرة، فلم نعد نسمع عن دور المقهى في التوعية السياسية خلال انتفاضة الحجارة أو الأقصى، وما أعقبهما من أحداث، وليس معنى هذا انتفاء هذا الدور مطلقا، لكنه غير فاعل. وقد يظن البعض أن السبب، هو انتشار وسائل الإعلام، ومنصات التواصل الاجتماعي، لكنني أرى أن هذه الوسائل لن تأخذ كل الجمهور، فثمة من يألف المقهى، أما السبب الحقيقي فهو تقصير المؤسسات الثقافية، والمؤسسة الرسمية.

تركزت مناقشات اللقاءات اليومية في المقاهي، على الأوضاع السياسية، فيناقش الحضور عديد المواضيع، مثل: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ونضال العرب، والصدام المسلح في القدس بين العرب واليهود.[59] ولجأت بريطانيا للأداة ذاتها، في حربها على الثورة الفلسطينية، فاستعانت بهذه المقاهي لبث الدعاية، حتى أنها فتحت مقاهٍ جديدة لهذا الغرض؛ حيث يتولى أحد الضباط مهمة تعميم البرقيات والصحف، وقد أدت تلك السياسة إلى تراجع دور المقاهي الأدبية في فلسطين، وبروز دور الدواوين العائلية،[60] وعن ذلك يقول محمد عزة دروزة إن الدواوين انتشرت في نابلس، فكان في كل حارة عدد منها، وكانت تعقد جلسات اجتماعية، يجري فيها نقاش قضايا حياتية، وثقافية، وقلما تتعرض للسياسة.[61]

لكن وكما يتضح من كلام محمد دروزة، أن الدواوين لم تأخذ دور المقاهي بالكلية، ذلك أن دورها اقتصر في الغالب على الجانب الاجتماعي، دون الخوض في تفاصيل السياسة، فمن الطبيعي لديوان العائلة، أن يناقش قضايا العائلة، والحي، أما المقهى فكان الأجدر على مناقشة قضايا أوسع؛ وذلك أن الحضور فيه من كل المدينة، ومن عدة عائلات. أما مناقشة القضايا السياسية، وتقديم آراء سديدة فيها، فالمقهى هو الأقدر على ذلك أيضا، كونه يحظى بمجموعة من المثقفين، ستكون في الأغلب، أكثر من مثقفي العائلة الواحدة.

وفي الخمسينيات من القرن الماضي كان دور آخر لمقاهي القدس، فحسب الكاتب محمود أبو غزالة، كان يعقد فيها المناظرات والحوارات بين المتنافسين على انتخابات البلدية أو الغرف التجارية، فعند الانتخابات كانت تتحول المقاهي إلى تجمع سياسي وطني، يضم كافة شرائح المجتمع، والعديد من المرشحين.[62] وبعد عام 1967، لم تكتف المقاهي، بأن تكون مقرا للتباحث في القضايا السياسية، بل وموقعا لتوجيه الرأي العام، والحث على مقاومة الاحتلال، وفي ذلك يقول حسام أبو عيشة، إن والده كان يعمل في مقهى زعترة، وكانت تصل البيانات السياسية إلى المقهى، فيحملها والده تحت الصينية، ويقدم القهوة للزبائن وكأس الماء، وتحتهما البيان.[63]

3. تراجع دور مقاهي القدس

واجهت مقاهي القدس كثيرا من المصاعب، الناتجة عن الاحتلال الإسرائيلي للمدينة، تمثلت في تضييق قوات الاحتلال على أصحاب المقاهي، وملاحقة الناشطين السياسيين من روادها، كما أن الواقع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي بعد الاحتلال، لم يعد يساعد هذه المقاهي على البقاء.

السياسة الإسرائيلية

اتبع الاحتلال الإسرائيلي سياسة الملاحقة، تجاه مقاهي المدينة، يقول محمود أبو غزالة، إن بعض مقاهي القدس، كانت مقرا لاجتماع الشخصيات الوطنية والشباب المثقف بسرية؛ للتدارس في سبل مواجهة الاحتلال أو جمع التبرعات للمواطنين، فتابع الاحتلال الإسرائيلي تلك النشاطات، عبر عيونه في المدينة، واقتحم المقاهي، واعتدى على روادها، سيما النشطاء.[64] ونتيجة لذلك كما يقول حسام أبو عيشة، تعرضت المقاهي للتفتيش والتخريب والملاحقة، التي وصلت حد إغلاق أبوابها نهائيا.[65]

وقد تفاعلت مجموعة من العوامل، هي في الأساس نتيجة للاحتلال الإسرائيلي، أدت إلى انتهاء دور كثير من مقاهي القدس؛ فقد أقام الاحتلال الإسرائيلي العديد من الحواجز حول المدينة؛ ثم أقام جدار الفصل العنصري الذي يعزل المدينة عن محيطها، وهو ما أضعف شتّى مناحي الحياة؛ إضافة إلى تهميش الطبقة الوسطى، وإضعاف تأثيرها السياسي والثقافي؛ وسوء الأوضاع الاقتصادية، الذي أدى إلى ضعف التواصل الاجتماعي؛ وانعدام الأمن بسبب مضايقات الاحتلال؛[66] إضافة إلى دخول السينما الى القدس، فانتقل المسرح من المقهى إلى السينما، حتى اقتصر دور من بقي منها على تقديم القهوة.[67]

ورغم الآثار الكبيرة لتلك العوامل، إلا أنه يمكن استعادة دور المقهى، ذلك أن تلك التحديات تواجهها كل مكونات مدينة القدس، ومع ذلك لم نر توقف الصحافة فيها، و لم نشهد انتهاء المقاومة الشعبية، على سبيل المثال. إن عودة دور المقهى للتأثير في الحياة الوطنية، مرهون بمبادرات جماعية من المثقفين، كتلك التي شهدتها المدينة، في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي.

مصير مقاهي القدس

هذه العوامل أدت إلى إغلاق كثير من المقاهي، كما تحول بعضها إلى أدوار أخرى، كما حدث مع مقهى زعترة، الذي أصبح محل أحذية،[68] وهو من أشهر المقاهي، التي تحولت عن دورها بفعل مضايقات الاحتلال،[69] وتحول كل من مقهى صيام ومقهى منى، داخل باب العامود إلى محلّين للملبوسات. أما مقهى باب العامود، فهو أقرب ما يكون إلى كافتيريا تستقبل الزوار والسياح، وتقدم العصائر والمشروبات الغازية والقهوة والشاي، والأمر نفسه ينطبق على مقاهي باب الخليل وحارة النصارى.[70] كما فقد مقهى الباسطي، أنشطته التي عهدها رواده، خاصة بعد تحوله إلى مطعم، ولكنه حافظ على بعض الذكريات، عن طريق الصور المعلقة على جدرانه.[71]

وبقي مقهى الباشورة على حاله، مع إضافة فرضتها احتياجات الشباب، وهو تخصيص جزء من المقهى لطاولات البلياردو. وبقي مقهى صيام (القديم) على حاله، لكن تم استبدال كراسي القشّ بكراسي البلاستيك[72]. وظل مقهى جابر ومقهى ناصر، داخل باب الساهرة، محافظين على طابعهما التقليدي، حيث النراجيل والزبائن ذوو الدخل المحدود من أبناء المدينة، الذين يقضون الوقت في لعب الورق أو النرد،[73] أو في الاستماع إلى الأغاني، وفي التعليق العابر على بعض الأمور.[74]

الخاتمة

وتشمل نتائج الدراسة وتوصياتها، وهي على النحو التالي:

النتائج:

- زادت أعداد المقاهي العربية على الإسرائيلية، في نهاية العهد العثماني، في حين تراجعت أعدادها لصالح اليهودية، بعد الاحتلال البريطاني للقدس.
- كانت المقاهي ملتقى الناس، فيها يتعارفون ويتسامرون، وكان الالتقاء فيها أفضل من البيوت نظرا لاتساعها.
- عرفت القدس عديد المقاهي، تأسس بعضها نهاية العهد العثماني، وبعضها الآخر في بداية القرن العشرين.
- أدت المقاهي دورا تثقيفيا للمجتمع المقدسي، تمثل في تقديم المعرفة، في قالب التسلية، وعقد الحلقات الأدبية، مطالعة الصحف، وقراءة الكتب.
- اضطلعت المقاهي بدور سياسي؛ إذ أسهمت في تنمية الوعي السياسي، وشارك روادها وأصحابها، في مقاومة الاحتلال البريطاني والإسرائيلي.

- أدت السياسات الإسرائيلية، والتغيرات الاجتماعية والثقافية في القدس، إلى إغلاق بعض مقاهي المدينة، وتحول بعضها عن دوره.

التوصيات:

- إعادة الاعتبار للمقاهي القديمة في القدس، من خلال عقد الملتقيات الأدبية والسياسية والفكرية.
- المحافظة على المقاهي المقدسية القديمة، التي تقاوم الإغلاق، وذلك بإضافات عصرية جادة، تسهم في جذب الشباب المثقف.
- اسناد المقاهي في القدس وفي الداخل الفلسطيني؛ للمحافظة على القيم الإسلامية، والعادات والتراث الفلسطيني، في وجه القيم الغربية التي تنشرها المقاهي الإسرائيلية، وهذا دور المثقفين والمؤسسات الثقافية والوطنية.

الهوامش

1 عمر، أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2008، م3، ص1867.

2 بشير بركات، **مقاهي القدس في العهد العثماني**. حوليات القدس، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، صيف 2012، ع13، ص53.

3 الكزاندر شولش، **تحولات جذرية في فلسطين 1856–1882**. ترجمة كامل العسلي، عمان: الجامعة الأردنية، ط1، 1988، ص130.

4 المرجع السابق، ص120–121.

5 Hattox, Ralph, *Coffee and Coffeehouses: The Origins of a Social-Beverage in the Medieval Near East.* London, University of Washington Press, 1985, pp. 12-19.

6 **صحيفة اللواء**: يومية سياسية صدرت في مدينة القدس، بين العامين 1935–1937. كان جمال الحسيني صاحب امتياز الصحيفة، أما مديرها المسؤول فهو خالد الفرخ، والمحرر إميل الغوري وجورج صلاح الخوري. كانت غنية بالأخبار المحلية والدولية. (جرايد، **أرشيف الصحف العربية من فلسطين العثمانية والانتدابية**، المكتبة الوطنية الإسرائيلية).

7 **صحيفة اللواء**، 1936/2/14، مرجع سابق، **جرايد**.

8 **صحيفة فلسطين**: تأسست في يافا، وصدر عددها الأول في 1911/1/1، أسسها عيسى العيسى، مع ابن عمه يوسف العيسى، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع، ثم ثلاث مرات. توقفت عن الصدور أكثر من مرة، وكانت تعود من جديد، حتى جاء تاريخ 1967/3/31، الذي توقفت فيه عن الصدور نهائيا، بعد قرار الحكومة الأردنية إلغاء امتيازات الصحف الأردنية، فتم توحيد صحيفتي فلسطين والمنار، لتكونا معا صحيفة الدستور. (**الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط1، 1984م، م3، ص466).

9 **صحيفة فلسطين**، 1933/2/10، مرجع سابق، **جرايد**.

10 بركات، مقاهي القدس في العهد العثماني، ص56.

11 زهير دولة، **مقاهي القدس القديمة.. حكايات على كراسي القشّ**، الإمارات اليوم، 2020/11/16؛ www.emaratalyoum.com/life/four-sides/2020-11-16-1.1422252

12 زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها في آواخر العهد العثماني**< عمان، منشورات بنك الأعمال، ط1، 2004، ص268.

13 شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856–1882، ص154.

14 عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**. القدس: مطبعة المعارف، ط2، 1986، ص471.

15 هالة السكاكيني، **أنا والقدس (سيرة ذاتية)**. ترجمة هلا الشروف، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومؤسسة تامر، ط1، 2019، ص65.

16 محمود شقير، **مقاهي القدس التي تتناقص باستمرار**، الحوار المتمدن، ع4845، 2015/6/22؛ www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=473264

17 عيسى القواسمة، **مقاهي القدس العتيقة.. تاريخ طويل من الحكايات بدأ بالاندثار بفعل الاحتلال**، إذاعة نساء FM، 2020/10/18.

18 صبحي غوشة، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2010، ص415.

19 شقير، مقاهي القدس التي تتناقص باستمرار.

20 غوشة، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص415.

21 السكاكيني، أنا والقدس (سيرة ذاتية)، ص65.

22 غوشة، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص418.

23 Tamari, Salim, Jerusalem's Ottoman Modernity: The Times and Lives of Wasif Jawhariyyeh, *Jerusalem Quarterly File*, Summer 2000, no. 9, p. 20.

24 لا يقر الباحث أبدا، أي فعل مخالف للشريعة الإسلامية، فالمنهج القويم في أي موضوع، هو إبراز آثاره الإيجابية، وكشف التجاوزات وانكارها.

25 دولة، مقاهي القدس القديمة.. حكايات على كراسي القشّ.

26 صبحي ازحيمان، **مقهى صيام في البلدة القديمة منذ العهد العثماني**. حكايات مقدسية، احنا Tv، 28 يوليو (تموز) 2019.

27 سليم تماري، **مقهى الصعاليك وامارة البطالة المقدسية**. الدراسة الفلسطينية، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شتاء 2004، ع57، ص125.

28 تماري، مقهى الصعاليك، ص125.

29 **خليل قسطندي السكاكيني (1878–1953)**: مسيحي أرثوذكسي، تخرج من الكلية الإنجليزية عام 1893، فعمل معملا في المدرسة الأرثوذكسي، رحل إلى أمريكا أواخر عام 1907، وعاد إلى فلسطين، بعد إقرار الدستور العثماني 1908، وبدأ بمباشرة نشاطه الأدبي، فشارك في تحرير مجلة الأصمعي، وأنشأ مجلة الجوزاء لطلبة دار المعلمين. تقلد العديد من المناصب في إدارة معارف فلسطين، كان آخرها مفتشا عامل للغة العربية. من مؤلفاته: الاحتذاء بحذاء الغير، ومطالعات في اللغة والأدب، والنهضة الأرثوذكسية في فلسطين، وكذا أنا يا دنيا. (صالح وآخرون، محسن، **دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس**. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 1431هـ/2010م، ص61–75).

30 خليل السكاكيني، **يوميات السكاكيني، يوميات، رسائل، وتأملات**. تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2004، الكتاب الخامس، ج2، ص65.

31 Tamari, Jerusalem's Ottoman Modernity, no. 9, pp. 20.

32 سليم تماري وعصام نصار، **القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية (1904–1917م)**. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2003، ص156–157.

33 هدالة اشتيه، **من مقهى الباسطي بالقدس إلى مقهى النوفرة بدمشق.. حكاية تاريخ متصل**، القسطل، 2021/4/5؛ www.alqastal.org/?p=4733

34 سليمان باسطي، **مطعم الباسطي في البلدة القديمة**، تقرير لتلفزيون فلسطين، 2019/10/25.

35 حسام أبو عيشة، **قهوة زعترة: حدوتة مقدسية من البلدة القديمة**، قناة مساواة، 2019/2/17.

36 تماري، مقهى الصعاليك، ص123.

37 **مقهى صيام من أشهر مقاهي القدس القديمة**، صحيفة اليوم، 20 كانون أول (ديسمبر) 2009؛ www.alyaum.com/articles/721460

38 غوشة، الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص415.

39 بركات، مقاهي القدس في العهد العثماني، ص54.

40 أسيل الجندي، **مقاهي القدس القديمة..حلقات اجتماعية وثقافية ووطنية اندثرت وعاشت حكاياتها**، الجزيرة نت، 2020/10/24؛ aja.me/x7fej

41 القواسمة، مقاهي القدس العتيقة.. تاريخ طويل من الحكايات بدأ بالاندثار بفعل الاحتلال.

42 **عادل جبر (1885–1953)**: أديب وصحفي، ولد في يافا، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينته، ثم تنقل في طلب العلم، بين إسطنبول وحنيف وباريس. سنة 1909 تولى تحرير صحيفة الترقي، وفي سنة 1921 عين في المجلس الإسلامي الأعلى، مديرا للمتحف الإسلامي ومكتبة المسجد الأقصى. كان عضوا في بلدية القدس، وعضوا في مجلس التعليم العالي، وفي سنة 1951 عين عضوا في مجلس الأعيان الأردني. (مرجع سابق، **الموسوعة الفلسطينية**، م3، ص148).

43 **محمد إسعاف النشاشيبي (1885–1948)**: ولد في القدس، ودرس في المدرسة البطريركية في بيروت، ونظم الشعر في شبابه إثر تخرجه من المدرسة، ونشر معظم شعره الذي يغلب عليه الحماسة والتغني بحب العرب والدعوة إلى الحرية في مجلة النفائس لخليل بيدس. وكتب سنة 1908 مقالات أدبية في مجلات الأصمعي وبيت لحم والمنهل والنفائس. درس العربية في بداية الاحتلال البريطاني في المدرسة الرشيدية، ثم تولى التفتيش على الدروس العربية إلى سنة 1929. ذاعت شهرته في البلاد العربية وأطلق عليه لقب "أديب العربية"، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1923، وتوفي في القاهرة. (محمد إسعاف النشاشيبي، **الموسوعة الفلسطينية على الانترنت**).

44 **إسحاق موسى الحسيني (1904–1990)**: ولد في القدس، درس في الكتاتيب ثم انتقل إلى عدة مدارس، وفي عام 1923 حصل على دبلوم في الصحافة، من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، حصل على درجة الليسانس في اللغة العربية من الجامعة المصرية عام 1929، وفي عام 1934 نال درجة الدكتوراة في اللغات السامية من جامعة لندن، وفي عام 1946 عين مفتشا أعلى للغة العربية في فلسطين، وفي عام 1961 أخير عضوا في المجمع العلمي

في بغداد، ثم عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة. له عديد المؤلفات، منها: رأي في تدريس اللغة العربية، وعلماء المشرقيات في إنجلترا. (جهاد صالح، **الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين**. رام الله، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، ط2، 2011م، ج2، ص139–143).

45 **نخلة زريق (1859–1921)**: مسيحي أرثوذكسي، ولد في بيروت نحو سنة 1859، درس في مدارس طائفته الأرثوذكسية، وفي مدرسة بطرس البستاني، فأتقن العربية والانجليزية. جاء إلى القدس عام 1889 بطلب من المبشرين الإنجيليين فتسلم إدارة مخزن بيع الكتب الدينية التابع للإرساليات الإنجليزية. وفي عام 1892 تسلم إدارة مدرسة الشبان الإعدادية، التي عرفت بالكلية الإنجليزية، وعلم فيها اللغة العربية، إضافة إلى عمله الإداري، وبقي في مركزه هذا إلى أن توفي عام 1921م في بيت المقدس. (**المرجع السابق**، ج1، ص181).

46 تماري، مقهى الصعاليك وامارة البطالة المقدسية، ص126.

47 دولة، مقاهي القدس القديمة.. حكايات على كراسي القشّ.

48 تماري، مقهى الصعاليك وامارة البطالة المقدسية، ص122.

49 تماري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية (1917–1904م)، ص247.

50 عصام نصار وسليم تماري، **القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (1948–1914م)**. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2005، ص328.

51 السكاكيني، أنا والقدس (سيرة ذاتية)، ص105.

52 السكاكيني، أنا والقدس (سيرة ذاتية)، ص106.

53 تماري ونصار، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية (1904–1917م)، ص80–81.

54 تماري، مقهى الصعاليك وامارة البطالة المقدسية، ص120.

55 تماري، مقهى الصعاليك وامارة البطالة المقدسية، ص122.

56 **صحيفة الدفاع**: يومية سياسية، صدرت في يافا عام 1934، أسسها وترأس تحريرها إبراهيم الشنطي، وتعد من أقوى الصحف التي ظهرت في فلسطين، فكانت من الصحف الأولى في مجال التوزيع. عالجت أوضاع فلسطين الداخلية، وتناولت الشؤون السياسية. ظلت تصدر في يافا إلى أن توقفت بسبب أحداث فلسطين سنة 1948، فانتقلت إلى القاهرة، ثم إلى مدينة القدس عام 1949. وبقيت كذلك إلى أن قررت الحكومة الأردنية، إعلان الصحف وإعادة تنظيمها في 1967/3/31، فاتحدت مع صحيفة الجهاد وشكلتا معاً صحيفة واحدة هي القدس. (مرجع سابق، **الموسوعة الفلسطينية**، م2، ص409).

57 صحيفة الدفاع، مرجع سابق، جرايد.

58 السكاكيني، أنا والقدس (سيرة ذاتية)، ص74.

59 حنا أبو حنا، **مذكرات نجاتي صدقي**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 2001، ص19.

60 تماري، مقهى الصعاليك وامارة البطالة المقدسية، ص131.

61 محمد دروزة، **سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993، ص105–106.

62 صحيفة اليوم، مقهى صيام.

63 الجندي، مقاهي القدس القديمة.

64 صحيفة اليوم، مقهى صيام.

65 الجندي، مقاهي القدس القديمة.

66 شقير، مقاهي القدس التي تتناقص باستمرار.

67 القواسمة، مقاهي القدس العتيقة.

68 شقير، مقاهي القدس التي تتناقص باستمرار.

69 القواسمة، مقاهي القدس العتيقة.

70 شقير، مقاهي القدس التي تتناقص باستمرار.

71 اشتيه، من مقهى الباسطي بالقدس.

72 شقير، مقاهي القدس التي تتناقص باستمرار.

73 وهذه أيضا مخالفة للشريعة؛ فالنرد (طاولة الزهر) فيها حديث صحيح بالتحريم.

74 شقير، مقاهي القدس التي تتناقص باستمرار.